

بشروا بمنطق الإيمان وكونوا القدوة

بقلم الياس بجاني مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

يلومنا البعض لأننا مستمرين دون هوادة في نهجنا العنفي المعارض بعقلانية وغاندية لحكم الواجهات المفروض بقوة السلاح على شعبنا، كون المعارضة السلمية "كما يقولون" لم تعد تجدي نفعاً، وإن أردنا فعلاً المعارضة يضيفون، يتوجب علينا المقاومة بحمل السلاح وإعلان الثورة. من جهة ثانية ينصحنا البعض الآخر "بإسداء النصح" لأهل الحكم ولسيده تحديدًا وإرشاده إلى مواقع الخطأ، بدلاً من انتقادهم كونهم يعملون بإخلاص من أجل مصلحة البلد وأهله ضمن أطر الواقعية وبحدود ما هو مسموح به، ويقول هذا الفريق بأن الحكام في بيروت لا يتحملون مسؤولية الوضع الحالي، بل كل الذين سبقوهم إلى السلطة منذ الاستقلال، ويطلب منا بمحبة الوالد لولده التحلي بالواقعية لأن هناك قراراً دولياً وإقليمياً ببقاء لبنان تحت الوصاية الغربية. أما الفريق الثالث فشن علينا حرباً عنيفة ولم يترك في المنجد العربي صفة خيانية إلا واتهمنا بها لأننا دافعنا وما زلنا ندافع بقوة عن أهلنا في جزين وباقي مناطق الشريط الحدودي ونعتبرهم أبطالاً صمدوا في أرضهم بوجه الفلسطيني والصومالي والتتري وكل المارقين بمن فيهم الإسرائيلي ورفضوا التخلي عن ترابهم المقدس المجبول بعرق أجدادهم ودم شهدائهم الأبرار. هذا إضافة إلى فريق يائس يتهمنا "بحمل السلم بالعرض" وبالسير "عكس التيار" وبالتغني بماض ولى زمانه ولن يعود.

إلى كل هؤلاء نقول: نحن "غانديون" ونتبع سياسة هي مزيج من المقاومة والمعارضة بأساليب حضارية وعلمية وسلمية، ولكننا لم نسقط خيار المقاومة المسلحة يوم نرى أنه السبيل الوحيد المتروك لتحرير الأرض واسترداد القرار والاستقلال. نفهم المقاومة على أنها وسيلة حضارية لإبراز الموقف الرفض وغير القابل بنهج أو سلوك معتمد، وتحاول دائماً أن تقرن السلوك بالعبارة، والسلوك هنا ليس حصراً على العمل العسكري أو الميداني، إنما هو في تصرف يحمل معناه وفي عبارة تُفسر ذاتها. أما المعارضة فنمارسها بعفة وقداسة كونها إبراز للرأي المخالف والمغاير لنهج أو سلوك معتمد، ونحن نحاول دائماً أن نقرن القول بالعمل لتصحيح خلل ما أو خطأ في الأداء، وبالمطلق إذا كانت الشهادة للحق والدفاع عن وطن وكرامة شعب معارضة أم مقاومة ففي تفسير كليهما سعي إلى التحسين والاجتهاد واختيار الأنسب.

إن من ينصحنا بالتحلي بالواقعية وإسداء النصح لسيد العهد وإرشاده إلى مواقع الخلل بدلاً من انتقاده نقول: رغم كل ما نكنه لكم من احترام وتقدير فإننا نختلف معكم في طريقة معالجة الخلل ومعاقبة مسببيه، كما على طريقة تشخيصه، لأننا ومن خبرتنا المتواضعة

طوال ٣٥ سنة في حقل الأمراض النفسية تعلمنا أن لا فائدة ترجى من التركيز على الأعراض وإغفال المسبب الفعلي للمرض. وبالتالي فإننا لا نعتقد أن ما يقوم به سيد العهد في مجال الإصلاح الإداري وفتح الملفات القضائية، وغيره من الأعمال المسرحية "كالكبسات" على الدوائر الحكومية، وفتح مكتب شكاوى في القصر الجمهوري، وحضور مباريات كرة القدم، ونقل طلاب بطائرتهم إلى كندا لأن طائرتهم تأخرت !!! وإن كانت كل هذه أعمال جيدة إلا أنها مفبركة بقصد تجميل صورته عند الناس وهي للأسف قشور لا تحاكي ولا تقارب السبب الرئيسي لكل ما يعاني منه الوطن وعلى كافة الصعد وأعني قوى الاحتلال الشقيقة والعدوة على حد سواء والتي تتقاسم الأدوار وتتحكم بكل كبيرة وصغيرة وبكل شاردة وواردة في وطننا. إما إن أردنا سرد الوقائع التي تثبت صحة ما نقول فأنكم تعلمون بأن الأمر يحتاج لمجلدات ولا نظنكم غافلون عن حقيقتها.

إن الواقع الاحتلالي المأساوي المفروض على لبنان من خلال حكم الواجهات قسم اللبنانيين برأينا المتواضع إلى أربع فرقاء واحد أرتضى الاحتلال ويعمل لخدمته وهو "زلمة كل العهود"، وآخر فقد إيمانه وثقته بذاته وبالأخرين فتخلى عن مسؤولياته الوطنية تحت حجة عدم التعاطي في السياسة وتحميل المسؤولية للزعماء وتحديدًا للموارنة واليمين اللبناني، وفريق ثالث ينادي بالتعامل مع الواقع بمرونة وعقلانية والعمل على تغييره من الداخل على أساس أن اللبناني غير قادر على الوقوف في وجه القوى الدولية والإقليمية التي أوصلت الحال إلى ما هو عليه. أما الفريق الرابع ونحن منه فهو يرفض الأمر الواقع ويرفض الاعتراف به مهما عظمت التضحيات، ويؤمن أن لا أحد سيحرر البلد إلا أهله وأن القوى الغربية وإن كانت في موقع القوة، فهي أعجز من أن تفرض خططها على شعب مقاوم يعرف ماذا يريد ويعمل من أجل تحقيقه. شعب جذوره متأصلة بتربته المقدسة ولم ييأس أو يركع لمحتل أو غازي وما فقد إيمانه يوماً. كما يعتبر هذا الفريق أن المشاركين عن قصد أو عن جهل في تقويض أسس الوطن يرتكبون خطأً لن يغفره لهم التاريخ.

إن السيد المسيح عندما دخل الهيكل ووجد أن هناك من يدنس قدسيته أخذ السوط وضربهم وطردهم، وهو الذي رفض القبول بالواقع الذي جاهد الكتبة والفريسيون لفرضه عليه فلم ييأس ولم يهادن ولم يساوم، بل حافظ على إيمانه وقيل الصلب والإهانة وهو رب الأكوان. هذا وتمكن تلاميذه القلائل فيما بعد من الانتصار على الأمر الواقع المعادي لرسالة البشارة ونصرونا مضطهديهم وهدوا إلى التوبة كل الجبابرة الذين نكلوا بهم ورموهم للأسود والنمور وقطعوا أجسادهم. وهنا نذكر من يعتقد بأن كثرة الكلام لا تفيد بأن الدين المسيحي أساسه البشارة والبشارة هي الكلمة والكلمة هي الرب المتجسد. وفي نفس السياق نلفت إلى

أنه لو قبل العبيد بأمر واقع عبوديتهم لبقوا مكبلين بالأغلال، والرئيس الفرنسي الجنرال ديغول لو لم يرفض الأمر الواقع الذي فرضه هتلر على بلاده لما تحررت فرنسا، ومنديلا لو استسلم لسجانيه ومخططاتهم وقبل المساومة على قضية وطنه لبقيت جنوب أفريقيا مستعمرة، ولو قبل سكان تيمور الشرقية المعدمين الضعفاء الفقراء بالأمر الواقع الذي فرضته عليهم أندونيسيا القوية لما هب العالم لمساعدتهم ولما أبصروا بشائر الاستقلال.

إن ما نرجوه من الرموز الوطنية التي نقدر ونعز بتاريخها النضالي أن تكون المثل الأعلى في التفاني من أجل قضية لبنان المقدسة، وعدم تبرير القبول بالأمر الواقع الاحتلالي وشرعية رموزه بمنطق غريب عن اللبنانيين. كما نناشدهم عدم تبرير تأييد الحكام المعينين من قبل الغريب بأخطاء من حكموا قبلهم، وعدم التسويق لمنطق القوة والخضوع له. نريدهم، وهم القدوة وأصحاب التاريخ في النضال أن يبشروا بمنطق الحق والعدل وتشخيص المرض، وليس بمنطق التركيز على الأعراض وإغفال المسببات الأساسية. إن المنطق يتغير بتغير الظروف والمحيط والأزمان والبشر ومتطلباتهم، وإن كان منطق الرفض والمقاومة لا يتناسب مع معايير الزمن الذي نعيش فيه حالياً فعلياً ونحن أبناء قدموس وهنبيعل وحيرام والبشير أن نغير ونبدل المعايير هذه لتتلاءم مع منطق الإيمان والمقاومة والحق ولو أدى ذلك إلى الشهادة. وفي النهاية نقول إن نصحت فانصح من هو حر الإرادة ومالك لقراره، فقد يأخذ بالنصيحة أما نصيحة المسير فأمر عبثي ومضيعة للوقت.

نكرر شكرنا ومحبتنا لكل من ينصحننا أو ينتقدنا على حد سواء بسبب اختلافنا معه في المواقف الوطنية. إن اختلافنا هو ضمن حدود الحرية والصراحة واحترام الرأي الآخر، وهذه صفات حضارية تميز اللبنانيين الذين يؤمنون بلبنان الحر السيد المستقل، وبهويته المميزة، وبتاريخه العريق، وبتعايش أهله بسلام ضمن أطر تقديس التعددية الثقافية وتلتزم مبادئ الديمقراطية التوافقية.

عشتم وعاش لبنان الرسالة... رسالة الإيمان.